أضواء علي صناعة الحرير وتجارته في مصر والشام في عصر المماليك من خلال النقوش الأثرية

أ.د. حسن الباشا*

وصلنا من مصر والشام نقوش أثرية تتضمن معلومات عن صناعة الحرير وتجارته في عصر المماليك يعد بعضها إضافة لما ورد عنه في المصادر الأخرى. وقد تناول البحث دراسة أحد عشر نقشاً من هذه النقوش (خمسة من مصر وستة من الشام). وتشتمل هذه النقوش علي مراسيم متعلقة بالحرير: عشرة منها بإلغاء ضرائب كانت مفروضة علي نواح مختلفة من الحرير، ومرسوم واحد عن قيمة إحدى الضرائب.وعلي الرغم من أن الغرض من هذه المراسيم يختص بالضرائب وإلغائها فإن هذه النقوش تشمل معلومات أخرى عن جوانب مختلفة من صناعة الحرير وتجارته في مصر والشام في عصر المماليك.

وفيما يلي دراسة لهذه النقوش:

النقش رقم (1) من مصر:

نقش بمرسوم علي عمود عثر عليه بمدينة مطوبس باسم السلطان الناصر فرج ابن برقوق بقطع المظالم المحدسة (ثة) نطوبس بإعفاء الفزازين من الإنفاد[1] .

المصطلحات:

- **السلطان الناصر فرج ابن برقوق:** أحد السلاطين الجراكسة ومدة حكمه من سنة 801 إلي 808هـ ومن سنة 809 إلي سنة 815هـ / 1399-1405م و1406-1412م).
- **نطوبس:** قرية من أعمال فوة والمزاحمتين تقع علي الشاطئ الغربي لفرع رشيد، وكان اسمها القديم نطوبس الرمان ثم صار يطلق عليها بعد ذلك مطوبس[2] (انظر أيضاً نقش رقم 2).
- **القزازون:** تجار القز أى الحرير أو صانعوه أو حائكوه[3]. (انظر أيضاً نقش رقم 4).
- **الانفاد:** اسم ضريبة كانت مفروضة علي القزازين. ومعنى الانفاد اللغوى اللجاج في الخصومة.

التعليق:

يتضح من المرسوم أن قرية مطوبس كانت من مراكز صناعة الحرير في عصر المماليك كما يؤكد ما جاء في بعض المصادر التاريخية من أن أسمها الأصلي كان نطوبس. وواضح من المرسوم الذي أصدره السلطان الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق أن يعفي القزازين من ضريبة أحدثت عليهم اعتبرت من المظالم وأطلق عليها اسم "الإنفاد".

النقش رقم (2) من مصر:

نقش علي رخام بمرسوم بمواجهة ضريح أبي النجا بمدينة فوة بتاريخ سنة 825هـ/ 1421م باسم السلطان الأشرف أبي النصر برسباى بأن لا يؤخذ من جميع تجار الحرير الواردين علي فوة المتوجهين إلي الثغر المحروس من الشاميين والحلبيين والحمويين والمناوتيين والأعاجم

---

* أستاذ كرسي الفنون والآثار - ووكيل كلية الآثار الأسبق – جامعة القاهرة .

[1] عزة ص 106 لوحة 12 شكل 86.

[2] يحيى ابن الجيعان: التحفة السنية ص 137، لبن مماتي. قوانين الدواوين ص159.

[3] المقريزى: السلوك جـ1 ص 478 حاشية 1.

وغيرهم من تجار الحرير سوى تسعة دراهم فلوساً جددا علي كل اسم وأمر بأن توضع هذه الرخامة في جدار ضريح سيدى سالم أبو النجا[4]

المصطلحات:

- **السلطان الأشرف أبو النصر برسباى:** أحد السلاطين الجراكسة ومدة حكمه من سنة 825هـ إلي سنة 841هـ / 1422-1438م.
- **مدينة فوه:** من أعمال المزاحمتين وتقع علي فرع رشيد جنوب مدينة رشيد، وكانت حاضرة عمل المزاحمتين[5] (وحالياً بمحافظة كفر الشيخ).
- **ضريح أبي النجا:** ضريح بمسجد سالم أبي النجا من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادي) وقد تهدم المسجد ولم يبق منه غير ضريح أبي النجا[6] .
- **الشاميون:** نسبة إلي الشام بعامة. وربما قصد منها في النقش التجار القادمين من مدينة دمشق التي يطلق عليها الشام كما يطلق علي القاهرة مصر.
- **الحلبيون:** نسبة إلي حلب.
- **الحمويون:** نسبة إلي حماة.
- **المناوتون:** نسبة إلي منوات أو منواث، وهي بلدة بسواحل الشام قرب عكا.
- **الأعاجم:** غير العرب.
- **الفلوس الجدد:** فلوس أحدثت سنة 759هـ (1357م) في سلطنة الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، زنة كل منها مثقال، وقيمته قيراط من 24 قيراطاً من الدرهم. وقد أخذت قيمة هذه الفلوس الجدد في التناقص تدريجياً.[7] .
- **الثغر المحروس:** مدينة الإسكندرية.

التعليق:

يشير المرسوم إلي أن تجار حرير من الشام وحلب وحماه ومنوات ومن العجم وغيرهم كانوا يمرون بمدينة فوة في طريقهم إلي الاسكندرية، وكان يفرض علي كل منهم ضريبة مرور[8]، وأمر السلطان برسباى بتخفيض هذه الضريبة إلي تسعة دراهم فلوساً جدداً. وربما كانت هذه الرعاية لتجار الحرير وبخاصة تجار الشام إكراماً لنائب الشام في ذلك الوقت: الأمير تاني بك نيق الذي كان له دور كبير في تولية برسباى السلطنة في ربيع الآخر سنة 825هـ (مارس 1421م)[9] بدلاً من ابن السلطان ططر.

وجاء في المرسوم ذكر لتجار الحرير من الأعاجم وغيرهم مما يؤكد التأثيرات الفنية المتبادلة بين مصر والشام من جهة وبين بلاد الأعاجم مثل إيران والهند والصين[10] وأوربا من جهة أخرى، وتتمثل هذه التأثيرات فيما وصلتنا من نماذج من منسوجات الحرير علي طول طرق الحرير.

ويتضح من النقش أن وجهة تجار الحرير من الشام والأعاجم وغيرهم. كانت مدينة الإسكندرية التي ذكرت المصادر التاريخية والأدبية أنها كانت أهم مراكز صناعة الحرير وتجارته في عصر المماليك. وكان بالإسكندرية في أواخر القرن الثامن الهجرى (14م) أكثر من 14 ألف

---

[4] Wiet,mo. 12, p. 133.

[5] صبح جـ 3 ص 403 انظر أيضاً نقش رقم 4،1.

[6] حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الاسلامية في ريف مصر. مجلة المجمع العلمي المصرى – المجلد الثامن والثلاثون جـ2-1956-1957 ص38.

[7] صبح جـ3 ص 439-440 ، 463-464.

[8] ورد ذكر لضريبة "حق التسفير" في نقش مؤرخ رجب 551هـ / سبتمبر 1156م بوصفها ضريبة كانت تفرض علي التجار المسافرين من دمشق إلي العراق والقادمين من العراق إلي دمشق. الباشا: ص 1223.

[9] ابن إياس: أحداث سنة 825هـ

[10] كونل: الفن الاسلامي –صورة 52.

نول، وكان عدد النساجين أكثر من 10 آلاف[11]. وكان يهوى إليها ركائب التجار في البر والبحر، وتمير جميع أقطار الأرض من قماشها الفائق الذي ليس له نظير في الدنيا[12]. وكان يصنع بها نسيج بديع من أصناف الأقمشة والبدلات المطبقة المتخذة لحريم السلاطين وغيرها من زراكش وحرير مذهب ومنسوجات حرير تشتمل علي زخارف مختلفة وصور طيور وحيوانات متتابعة من النوع المعروف باسم "طرد وحش" وأزهار كزهر الربيع[13] فضلاً عن الأشرطة المموجة بقصب مذهب[14].

نقش رقم (3) من مصر:

نقش بمرسوم علي رخام بجامع المتولي بالمحلة الكبرى بتاريخ شعبان سنة 842هـ (1439م) باسم السلطان الظاهر أبي سعيد جقمق بإبطال ما في المحلة الكبرى من المظالم والفواحش .. ومن ضمنها الحسنة المأخوذة من المتسببين[15] .

المصطلحات:

- **السلطان الظاهر جقمق أبو سعيد:** أحد السلاطين الجراكسة، ومدة سلطنته من سنة 842 إلي 857هـ (1438-1453م).
- **المحلة الكبرى:** مدينة بمحافظة الغربية حالياً، وكانت من مراكز صناعة النسيج، ولا تزال إلي اليوم أشهر مراكز هذه الصناعة في مصر.
- **الحسنة:** اسم إحدى الضرائب.
- **المتسببون:** من معانيها تجار المنسوجات الرقيقة ومنها الحرير. وقد تطلق أيضاً علي التجار المتخصصين في أنواع معينة من المتاجر أو من تسيب مال الفئ.

التعليق:

تضمن المرسوم إبطال كثير من الضرائب ومنها الحسنة التي كانت تؤخذ من المتسببين. وربما ترتبط هذه الإعفاءات من الضرائب بتولي السلطان جقمق السلطنة في 17 ربيع الأول سنة 842هـ (8 سبتمبر 1438م)، وقد عرف عنه التدين والرفق بالرعية، وأقبل الناس في عهده علي التمسك بالدين، وفي شعبان سنة 842هـ (الشهر الذي صدر فيه هذا المرسوم) ختم ابن حجر العسقلاني كتابه "فتح البارى في شرح البخارى" وتمت قراءته[16].

نقش رقم (4) من مصر:

نقش بمرسوم بتاريخ سنة 887هـ (1482م) بإعفاء جماعة القزازين بفوة بالمزاحمتين من الأطرون السلطاني إعفاء مستمراً علي الدوام وذلك بوساطة الشيخ الصالح إبراهيم بن شعبان الشاذلي[17].

المصطلحات:

---

[11] ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة – القسم الثاني ص 714، ابن مماتي: قوانين الدواوين ص 298 وما بعدها.

[12] صبح: ج3 ص408.

[13] مرزوق: ص 17 عن النويرى جـ 2 ورقة 142.

[14] صبح: جـ4 ص 53.

[15] عزة ص 113 لوحة 5 شكل 87.

[16] ابن إياس: أحداث سنة 842هـ.

[17] Wiet, No. 20, p. 140.

- **سنة 887هـ:** في سلطنة الأشرف سيف الدين قايتباى أحد السلاطين الجراكسة، ومدة سلطنته من سنة 872هـ إلي سنة 901هـ (1468-1496م).
- **القزازون:** انظر نقش رقم 1.
- **فوه:** انظر نقش رقم 1،2،5 في هذا البحث.
- **المزاحمتين:** عمل المزاحمتين هو ما جاور خليج الإسكندرية من الشمال إلي البحر الرومي، وبعضه بالبر الشرقي من النيل وحاضرته مدينة فوة[18].
- **الأطرون:** هو النطرون ويستخدم في تبييض الأقمشة. وكان النطرون من جهات الضمان في مصر، وكان الضامن ملزماً بتسليم حمولته من الطرانة (حالياً بمحافظة البحيرة) – وكانت مركز استخراج النطرون الجيد – ليسلم الديوان من نقص وزنه، وخطر غرقه (أى أن عمل الملزم كان أشبه بالتأمين). ولم يكن للضمناء أن يلزموا المتعيشين بالغزل إلي ابتياع النطرون منهم، غير أن المبيضين كانوا مضطرين إلي شرائة منهم بالسعر الذي يحددونه. وفي أواخر عهد السلطان برقوق (784-791 هـ / 1382-1399م) صار النطرون حكراً للسلطان جارياً في الديوان المفرد تحت نظر الأستادار يقوم بطرحه علي بعض الجهات[19] .
- **الشيخ الصالح إبراهيم بن شعبان الشاذلي:** ربما كان شيخ القزازين[20].

التعليق:

واضح من المرسوم المذكور أن السلطان قايتباى أعفى جماعة القزازين بفوة من الالتزام بشراء النطرون السلطاني أى أنه حكر السلطان له.

نقش رقم (5) من مصر:

نقش بمرسوم علي لوحة رخامة مثبتة علي الجانب الأيسر للمحراب بجامع القنائي بفوه باسم السلطان الملك الأشرف أبي النصر قانصوة الغورى في شهر جمادى الأولي سنة 919هـ (يوليو 1513م) بإبطال ضريبة الهلالي وغيرها التي كانت مفروضة علي جهات كثيرة بمدينة فوه ومن بينها ما كان مفروضاً علي القزازين والصباغين[21].

المصطلحات:

- **السلطان قانصوة الغورى:** السلطان قبل الأخير من السلاطين الجراكسة بمصر، ومدة سلطنته من 906 إلي 922 هـ (1501-1516م).
- **مدينة فوه:** انظر نقش رقم 1،2،4 في هذا البحث.
- **جامع القنائي:** القنائي هو عبد الرحيم بن أحمد بن حجوب ينتهي نسبه بجعفر الصادق، وينسب إلي بلدة قنا التي أقام بها. وقد بنى جامع القنائي بفوه في موقع الخلوة التي أقام بها أثناء إقامته بفوه عند زيارته لأستاذه العالم سيدى سالم أبى النجاه. ويرجع إنشاء الجامع إلي عصر المماليك وجدد في القرن الثاني عشر الهجرى (18م)[22] .
- **الهلالي:** ضريبة كانت تستأدى مشاهرة إيجاراً للمسقفات كالدور والحوانيت وكذلك أرحية الطواحين الدائرة بالعوامل والراكبة علي المياه المستمرة الجريان ودواليب قاعات قصب السكر ودواليب الحرير[23]. وكانت المكوس[24] في عصر المماليك يطلق عليها اسم المال الهلالي[25]. وربما نسبت هذه الضريبة إلي الهلالي نظراً إلي أنها كانت تؤدى مشاهدة.

---

[18] صبح جـ3 ص 403. (انظر أيضاً نقش رقم 2 من هذا البحث).
[19] الباشا ص 727.
[20] انظر وظيفة الشيخ في الباشا ص 627-651.
[21] عزة ص 93 لوحة 4 شكل 42.
[22] صلاح عزام: السيد عبد الرحيم القنائي – شخصيات صوفية دار الشعب سنة 1970 ص 11.
[23] انظر نقش رقم 10 في هذا البحث.

- **القزازون:** انظر نقش رقم 4،1.
- **الصباغون:** الصباغ هو الذي يصبغ أو يلون الثياب أو القماش[26]. وكان المحتسبون يحذرون الصباغين من صبغ حرير القز قبل تبيضه لئلا يتغير لونه بعد ذلك[27].

التعليق:

يتضح من المرسوم الذي أعفى فيه جهات كثيرة بمدينة فوه (حوالي خمس عشرة جهة) من الضرائب أن هذه المدينة كانت تعج بالنشاط الصناعي والتجاري.ويلاحظ أن الإعفاء من هذه الضرائب التي كانت ولا شك تثقل كاهل الصناع والتجار يتفق مع بعض الأحداث في مصر سنة 919هـ (1513م). ومن هذه الأحداث أن الطاعون انتشر بمصر في هذه السنة ومات بسببه الكثيرون، وتعطلت الأعمال، وركدت الأسواق. ومن هذه الأحداث أيضاً أنه في شهر ربيع الأول سنة 919هـ (مايو 1513) ثارت العربان بمصر مما زاد من اضطراب الأحوال، وكثرت الإشاعات بحدوث فتن كبيرة، وازداد الغضب علي السلطان في شهر جمادى الأولي من هذا العام حتى خشى أن يخلع. وبالإضافة إلي ذلك أصاب السلطان رمد شديد في عينه. وقيل إن هذه الأحداث حدت بالسلطان إلي أن يلجأ إلي العدل ومنع المظالم، وليثبت ذلك حلف علي الإخلاص، وأكثر من الإحسان والعفو، وطيب خاطر كل من ظلمهم، وأمن الكثيرين، وأطلق سراح المسجونين، وطلب من ولاته وقضاته ألا يجوروا، وأبطل المشاهرة التي كانت علي الحسبه، والمكوس التي كانت علي القمح والبطيخ وسائر الغلال، ونودى في مصر ألا ظلم اليوم. ويقال إن السلطان لجأ إلي ذلك تقرباً إلي الله ليشفى ما ألم بعينه من رمد، وخوفاً من أن تقع فتنه تؤدي إلي خلعه، ورفعاً للمعاناة عن الناس[28]. ومن الواضح أن ما جاء بالمرسوم من إعفاءات كانت من قبيل أعمال البر المذكورة.

نقش رقم (6) من الشام:

نقش علي حجر بجدار بيمارستان أرغون بمرسوم بتاريخ 22 ربيع الآخر سنة 846هـ (6 سبتمبر سنة 1442م) جاء فيه أن صاحب الديوان الشريف بالمملكة الحلبية المحروسة أبطل أخذ موجب ما يجلبه نصارتي مدينة قاراه معاملة دمشق المحروسة من القماش والثمار خارجة من الفاكهة في معلوم كتابة السر الشريف بحلب[29].

المصطلحات:

- **حلب:** من أكبر مدن الشام. ولها شهرة فائقة في صناعة المنسوجات، وكان بها في عصر المماليك نحو ستة آلاف نول، وكان لتجارها نصيب كبير في السوق المصرية.[30]
- **أرغون:** هو الأمير بين طيجو الكاملي تولي حلب سنة 754هـ (1353م)، ومات بالقدس دون الثلاثين[31].

---

[24] انظر نقش رقم6، 10 في هذا البحث.

[25] صبح جـ 3 ص 467.

[26] الباشا ص 704،703.

[27] حنان ص 150.

[28] ابن إياس: أحداث سنة 919هـ.

[29] Herzfeld, CIA, Syrie du Nord, Alep, P.377, No.229, Pl.CXLVIa.

هذا ووجد علي جدار خان القاضي أمام البيمارستان المذكور نقش آخر بمرسوم يقضي بابطال ما علي نصارا قارا من الموجب (محمد أسعد طلس: الآثار الاسلامية والتاريخية في حلب ص99 حاشية 1).

[30] انظر أيضاً النقش رقم 2 في هذا البحث.

[31] محمد أسعد طلس: المرجع السابق ص 96 حاشية 2.

- **بيمارستان أرغون:** مستشفى بناه الأمير أرغون في حلب في سنة 755هـ (1354م) . ويعد من أفضل المباني من نوعه في سوريا ومصر[32] .
- **صاحب الديوان الشريف بالمملكة الحلبية المحروسة:** هو صاحب ديوان الإنشاء الشريف بإمارة حلب، وكان يطلق أحياناً علي الإمارات في عصر المماليك اسم الممالك، ومن ثم جاز أن يطلق هذا اللقب علي صاحب ديوان الإنشاء بحلب[33] . ولو أن القلقشندى يقرر أن صاحب ديوان الإنشاء بدمشق فقط هو الذي كان يسمح له بهذه التسمية، أما في حلب وحماه وطرابلس فكان اللقب صاحب ديوان المكتبات بحلب أو حماه أو طرابلس، وكانوا جميعاً يعينون من قبل السلطان[34] .

هذا وقد ورد اسم صاحب الديوان الشريف بالمملكة الحلبية المحروسة المذكور ولقبه كما يلي: المقر الشريف العالي المولوى المخدومي الزينى عمر السفاح الشافعي. ويتضح من الألقاب أنه لم يكن من الأمراء العسكريين بل كان مدنياً وكان لقب تعريفه الخاص "زين الدين" ولقب النسبة منه "الزينى".

- **قاراه:** ورد في النقش أنها معاملة دمشق. وردت أيضاً بصيغة قارا وقاره.
- **دمشق:** أكبر إمارات الشام. وكانت مدينة دمشق من أشهر مراكز صناعة الحرير وكان بها نحو ثلاثة آلاف نول، وكان يحاك به أكثر من مائة صنف من أصناف الحياكة ومن هذه الأصناف قماش الألاجا وكان كالأمواج له بريق[35].
- **الموجب:** ضريبة يدفعها التجار علي متاجرهم وأموالهم بنسبة معينة وتحصل لديوان الخاص الشريف أي لديوان السلطان، ومنها مكس[36] السماح وقيمته قطعة ذهبية أو قطعتان يدفعها كل تاجر عن نفسه، ومكس الدخول ويدفعه التاجر عن النقود التي معه بنسبة 2% من قيمتها، 100% من قيمة السلع المجلوبة، وكان يدفع نقداً وعرف هذا المكس في المصطلح المملوكي باسم الخمس[37].
- **المعلوم:** مبلغ مقرر لحساب جهة حكومية. وكان معلوم كتابه السر[38] واحد وعشرين درهماً، ومعلوم الحجوبية الكبرى ثلاثة عشر درهماً[39] .
- **القماش:** هذه اللفظة تتضمن معاني مختلفة منها النسيج وقد يكون من الحرير، والثياب، والزى الرسمي، والثوب الفوقاني ذو الطابع الاحتفالي المميز، ورداء الملوك الخاص بالخدمة[40].

التعليق:

يتضح من النقش أن صاحب ديوان الإنشاء بحلب كان يطلق عليه صاحب الديوان الشريف، كما أن إمارة حلب أو ولاية حلب كانت تسمى أيضاً المملكة الحلبية المحروسة. كما يتضح كذلك أن مدينة قاراه معاملة دمشق – كانت من مراكز صناعة النسيج والمتاجرة في القماش، وأن نصارى هذه المدينة كانوا من أهم التجار في حلب في القماش بالإضافة إلي الثمار،

---

[32] **المرجع نفسه ص 96-99.**
[33] **الباشا ص 672.**
[34] **القلقشندى: ضوء الصبح السفر ص 328-330.**
[35] **حنان ص 152،138.**
[36] **المكس: ضريبة كانت تفرض علي الانتاج وعلي السلع الواردة إلي الموانى المصرية. وعرفت المكوس في عصر المماليك أيضاً بالمال الهلالي.**
[37] **المقريزى: خطط جـ1 ص 103. والسلوك جـ 1 ص 955 حاشية1 جـ1 ص 451 حاشية 2. انظر نقش رقم 5،10 في هذا البحث.**
[38] **انظر الباشا: وظيفة "كاتب السر".**
[39] **انظر الباشا: وظيفة "حاجب".**
[40] **ماير: ص133-142.**

وأن موجب ما كانوا يجلبونه من القماش والثمار يدخل ضمن معلوم كتابة السر الشريف بحلب، وقد أبطل المرسوم هذا الموجب.

نقش رقم (7) من الشام:

نقش بالمدرسة الشمسية بطرابلس بمرسوم باسم برسباى الناصري الظاهرى كافل المملكة الشريفة الطرابلسية بتاريخ جمادى الآخرة سنة 846هـ (7أكتوبر –4 نوفمبر سنة 1442م) وذلك بشأن مسامحة أهل القدموس "بما علي أنوال الحياكة وخراج الكروم مسامحة مستمرة علي الدوام لا ينقضي حكمها ولا يتغير شملها، ونقش ذلك علي الجامع الكبير بابطال هذه المظلمة عنهم"[41] .

المصطلحات:

- **سنة 846هـ:** أثناء ولاية السلطان الملك جقمق، ومدة حكمه من سنة 842هـ (1438-1453م).
- برسباى **الناصرى الظاهر كافل المملكة الشريفة الطرابلسية:** كان برسباى من أمراء السلطان الملك الظاهر ناصر الدين جقمق، وكان والياً علي طرابلس، وقد لقب في النقش بكافل المملكة الشريفة الطرابلسية، كما لقب بالناصري والظاهرى.
- **طرابلس**: من الولايات المهمة في الشام في عصر المماليك، واشتهرت بالنسيج ولاسيما نسيج الحرير، وكانت تنتج أجود أنواع الحرير، ومن حرير طرابلس كانت تصنع الحرائر المقصبة بالفضة والذهب[42].
- **القدموس**: من أعمال طرابلس وكانت من مراكز صناعة النسيج[43].
- **خراج الكروم:** ضريبة كانت تحصل علي الكروم.
- **أنوال الحياكة:** هي أنوال غزل النسيج قماشاً ومنه الحرير. وعرفت أنواع مختلفة من الأنوال: ومنها النول الأفقي (نول المدوس)، والنول الرأسي الذي كان يستخدم لنسج القطع التي يصعب نسجها علي النول الأفقي لاشتمالها علي زخارف وموضوعات تصويرية تملؤها، وعندما زار السلطان شعبان المملوكي أحد مصانع النسيج بمدينة الإسكندرية شاهد أنوالاً أدهشه طريقة نسج الحرير بها بخيوط صاعدة وهابطة ينتج عنها زراكش وثياب حريرية مذهبة تحليها رسوم طيور وحيوانات وزخارف نباتية تملأ ساحتها.[44]. ومن المرجح أن هذه الأنوال هي المعروفة بأنوال السحب أو الجذب اليدوى التي تستخدم في نسج الحرير الذي يتطلب اختلافات وتراكيب نسيجية معقدة[45]. هذا وكانت تنسج علي نول السحب بالمكوك أقمشة حرير وأخبية ذات زخارف تشتمل علي رسوم حيوانات وحشية متتابعة بالإضافة إلي أشرطة مموجة بقصب مذهب[46]. وبالمتاحف المختلفة ولاسيما متحف الفن الإسلامى بالقاهرة نماذج كثيرة من هذه الأنواع[47].
- **مسامحة:** إعفاء.
- **مظلمة:**كانت الضريبة المجحفة أو غير الشرعية تسمى في المراسيم الخاصة بإلغائها بالمظلمة.

التعليق:

---

[41] **Sobernheim, CIA, Syrie du Nord, p. 65-66,no.27.**

[42] **حنان ص143،137، انظر أيضاً نقش رقم 10،8،7،6،5.**

[43] **انظر أيضاً نقش رقم 7.**

[44] **النويرى: جـ 2ورقة 142، مرزوق ص 171.**

[45] **جمال ص17.**

[46] **مرزوق ص 171.**

[47] **حسن الباشا: موسوعة العمارة والآثار الاسلامية لوحة 784-807.**

يتضح من النقش أن بعض المراسيم كانت تصدر باسم كافل المملكة أى واليها، وتلقيب كافل المملكة الطرابلسية بالناصري يدل علي أن السلطان جقمق كان له نعت خاص هو الناصر أو كان له لقب تعريف خاص آخر هو ناصر الدين ذلك أن لقبيه هما "الظاهر سيف الدين" ومن المرجح أن ذكر "الناصرى" في النقش كان خطأ من الكاتب.

هذا ويرد في النقش "القدموس" بوصفها أحد مراكز النسيج، كما يشير إلي أنه كانت علي أنوال النسيج ضريبة، وكان بعض الولاه يلجئون إلي إلغائها باعتبارها من المظالم.

نقش رقم (8) من الشام:

نقش علي حجر ملصق بحائط منزل مواجه لمدخل المسجد الجامع والمدرسة الشمسية بطرابلس بمرسوم شريف مربع صادر من ديوان الجيوش المنصورة الإسلامية بتاريخ أول شعبان سنة 851هـ (13 أكتوبر سنة 1447م) يقضي بإبطال ما تجدد علي عوام القدموس والكهف والمنيقة والعليقة والخوابي من الأعمال الطرابلسية من الثياب الخام ودورة الاستادار علي حكم المرسوم الشريف المربع المؤرخ ذي الحجة سنة 836هـ (يولية – أغسطس 1433م)[48].

المصطلحات:

- **أول شعبان سنة 851هـ:** أثناء سلطنة الظاهر جقمق، ومدة سلطنته من سنة 842 إلي سنة 857 هـ (1438 – 1453م).
- ذو **الحجة سنة 836هـ:** أثناء سلطنة الأشرف برسباى، ومدة سلطنته من سنة 825 إلي سنة 841هـ (1422 – 1438م).
- **ديوان الجيوش المنصورة:** احد دواوين سلطانية أربعة في دولة المماليك كان بها حق إصدار مراسيم تتعلق بشئونها نيابة عن السلطان، وهذه الدواوين هي ديوان الوزارة، وديوان الخاص، وديوان الاستدارية، وديوان الجيش، وكان ديوان الإنشاء يتولى تحرير هذه المراسيم[49].
- **مرسوم شريف مربع**: مرسوم شريف أى صادر عن السلطان أو نيابة عنه، ومربع عن أي مكتوب علي ورقة مربعة، وجرت العادة أن الأمر أو المرسوم كان يكتب علي ورقة مربعة ترسل إلي ديوان الإنشاء ليكتب به توقيع، وكان يطلق علي هذه الورقة اسم "المربعة"[50].
- **الاستادار:** أمير كبير وظيفته الإشراف علي قصر السلطان وبيوته وخزاناته وحاشيته وغلمانه، وكان له السلطة المطلقة في طلب ما يحتاجه كل من في بيت من بيوت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك. وكان للاستادار ديوان خاص يسمى ديوان الاستدارية أو ديوان المفرد مهمته إنفاذ قرارات الاستدار وإرسالها إلي ديوان الإنشاء ليكتب المراسيم علي مقتضاها. وقد أنشئ هذا الديوان في سنة 715هـ (1315م)، وكان يقوم بصرف مرتبات المماليك السلطانية جميعها ونفقتهم من عليق وكسوة، وكان إيراده من البلاد التي أفردت له، وكان يوصف بالشريف نظراً لاختصاصة بالسلطان فيقال "ديوان المفرد الشريف". وكان لكبار الأمراء أيضاً استدارية[51].
- **دورة الاستادار:** كان للاستادار دورة أى خدمة أو ضر تفرض علي بعض الأقاليم وتحصل لحسابه.
- **الثياب الخام:** الحديثة الصنع، ومعنى الخامة الغضة.

---

[48] Van Berchem, CIA, Syrie du Nord, PP 68-9, No. 28.

[49] صبح جـ6 ص 197-202.

[50] صبح جـ 13 ص 154-156.

[51] الباشا: ص 39-59.

التعليق:

يتضح من النقش أن القدموس[52] والكهف والمنيقة والعليقة والخوابي من الأعمال الطرابلسية كانت من مراكز صناعة النسيج بعامة، والحرير بخاصة وأنه كان قد فرض عليها في ذي الحجة سنة 836هـ (يوليو – أغسطس سنة 1433م) ضريبة جديدة علي الثياب الخام وضريبة لحساب الاستدار وذلك بمقتضى مرسوم شريف مربع صادر باسم السلطان الأشرف برسباى، وأنه صدر مرسوم شريف مربع من ديوان الجيوش المنصورة الاسلامية بإبطالها في عهد السلطان الظاهر جقمق . وقد عرف عن السلطان جقمق أنه كان رفيقا برعيته.

نقش رقم (9) من الشام:

نقش بالمسجد الجامع بحلب بمرسوم بتاريخ ذي الحجة سنة 871هـ (يولية 1467م) يقضي بإبطال الجناب الناصرى محمد أمير استادار بناء علي إشارة يشبك البجاسي ملك الأمراء "ما علي دلالين (كذا) قماش المصرى من خدمة الاستدارية عند لبس الخلعة" ولعن من يحدثه[53].

المصطلحات:

- **ذو الحجة سنة 871:** أثناء سلطنة الظاهر سيف الدين خشقدم، ومدة سلطنته من سنة 865 إلي سنة 872هـ (1461 – 1467م).
- **الجناب:** من ألقاب الأصول وهو أرفع من لقب "المجلس"[54].
- **الناصرى:** لقب مفخم نسبة من ناصر الدين.
- **أمير استادار:** صيغة مفخمة للقب استادار[55].
- **ملك الأمراء:** لقب كان يطلق علي أكابر الأمراء من نواب السلطنة بالممالك[56] : أى الولايات.
- **الدلال:** هو الذي يدلل علي البضاعة أي يقدم الأدلة علي مزاياها، ويتوسط بين البائع والمشترى ويحاول التوفيق بينهما[57]. وكانت الدلالة تعرف أيضاً بالسمسرة وبالترجمة، وكان الدلال يأخذ أجرً علي إنجاز البيع من البائع ومن المشترى، وجرت العادة أن يتخصص الدلالون: كل في نوع معين من السلع. وقد ورد ذكر دلال الإبريسم وغيره من الأقمشة في بعض النقوش[58].
- **القماش:** انظر النقش رقم 6 في هذا البحث.
- **خدمة الاستادار:** انظر دورة الاستادار في النقش رقم 8 في هذا البحث.
- **قماش المصرى :** قماش صناعة مصر كان يسوق في حلب. وكانت حلب من أشهر مراكز صناعة الحرير وتجارته في عصر المماليك[59].
- **الخلعة:** الزى الرسمي المؤلف من شاش والقماش والمقصود بالشاش الشال الرفيع الذي يلف حول العمة، وبالقماش الثوب الفوقاني الرسمي كالجبة وغيرها[60]، وكانت الخلعة من علامة الرضى وأحياناً من علامات التعيين في الوظيفة.

---

[52] انظر أيضاً : النقش رقم 7.

[53] Herzfeld, CIA, Syrie du Nord, P. 383, No.237.

[54] انظر حسن الباشا: الألقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ص 241 – 247.

[55] انظر الباشا: ص 186، ونقش رقم 8 في هذا البحث.

[56] حسن الباشا: المرجع السابق ص 502.

[57] عبد الرحمن بن نصر الشيزرى: نهاية الرتبة في طلب الجسبة ص 64.

[58] دليل متحف الآثار العربية في خان مرجان ببغداد ط 2 ص 28،29 لوحة 28.

[59] انظر نقش رقم 2 في هذا البحث.

[60] ماير ص 133-142.

التعليق:

يتضح من النقش أن المرسوم صدر من الجناب الناصرى محمد أمير استادار بتكليف من ملك الأمراء بالمملكة الحلبية[61] يشبك البجاسي وكان ذلك في أواخر سلطنة الظاهر سيف الدين خشقدم ويقضي بإلغاء ضريبة كان يدفعها دلالو قماش المصرى عند لبس الاستادار للخلعة.

نقش رقم (10) من الشام:

نقش بالمدرسة الشمسية بطرابلس بمرسوم بتاريخ 20 المحرم سنة 889هـ (18فبراير 1484م) باسم السلطان قايتباى بإبطال مكس الدواليب الحرير والقصابة بالكهف والقدموس[62].

المصطلحات:

- **السلطان قايتباى:** من سلاطين الجراكسة، ومدة سلطنته من سنة 872هـ إلي سنة 901هـ (1468-1496م).
- طرابلس: عاصمة الولاية الطرابلسية وكانت من أشهر مراكز صناعة الحرير وتجارتة في عصر المماليك. ومن أعمال طرابلس المشهورة بصناعة الحرير وتجارته: الكهف، والقدموس، والخوابي، والعليقة، والمنيقة. ويعد الحرير الطرابلسي من أجود أصناف الحرير، وكان ينسج بطرابلس حرير أبيض كان يصنع منه الحرير المقصب بالفضة والذهب[63].
- **الكهف والقدموس:** من الأعمال الطرابلسية وكانتا من مراكز صناعة الحرير في عصر المماليك[64].
- **المكس:** ضريبة كانت تفرض علي الإنتاج وكذلك علي السلع الواردة الموجودة في الموانى، كما عرفت المكوس في عصر المماليك باسم المال الهلالي[65].
- **القصابة:** القصب اسم قماش رقيق كانت تصنع منه عمائم الرجال وثياب النساء. ويتضح من النص أن القصابه هنا تعنى عملية نسج هذا النوع من الأقمشة. والقصابون هم ناسجو الحرير[66].
- **الدواليب الحرير:** يستخدم في عملية لف فتاله الحرير أو التدوير أو الطلعة علي بكر جهازان: هما جهاز الطيار والدولاب ويستخدمان في لف الخيوط من الشلة يدوياً ولفها علي بكر بالأطوال المطلوبة، وحدث في كل من الطيار والدولاب اليدوى تطوير علي مراحل[67]. وكان يفرض علي دواليب الحرير مكس أي ضريبة تقدر بحسب الإنتاج.

التعليق:

يتضح من النقش أن السلطان قايتباى أبطل مكس دواليب الحرير والقصابة بالكهف والقدموس في 20 المحرم سنة 989هـ (18 فبراير 1484م). وربما يرتبط هذا المرسوم ببعض الأحداث التاريخية المهمة، ذلك أنه في المحرم سنة 989هـ (أى في نفس الشهر الذي صدر فيه هذا المرسوم) هاجم السلطان العثماني بايزيد الثاني دولات بن دلغار بجيش كبير، وكان هذا الهجوم أول اعتداء للعثمانيين علي بلاد السلطان المملوكي. ومن الطبيعي أي يعم الضيق والقلق رعية السلطان المملوكي مما قد يدفعه إلي طمأنتهم والتقرب إليهم بأمور قد يكون منها إلغاء بعض الضرائب، وربما كان المرسوم المذكور من ضمن هذه الأمور.

---

[61] انظر النقش رقم 6،2.

[62] Sobemheim, P. 79-80, No. 33.

[63] حنان ص 137،138. انظر أيضاً النقش رقم2، 6.

[64] نفسه.

[65] المقريزى: خطط جـ 2 ص 103،121، صبح جـ 3 ص 467، انظر أيضاً النقش رقم 7،8.

[66] جمال ص 26.

[67] جمال ص 18.

نقش رقم (11) من الشام:

نقش علي لوح رخام من القدس الشريف بمرسوم بتاريخ 6 ذي القعدة سنة 902 هـ (6يوليو 1497م) باسم السلطان الناصر محمد بن قايتباى يقضي بإبطال ما جدد علي القصابين والمتسيبني بالقدس الشريف عن الحمايات والرمايات والمظالم[68].

المصطلحات:

- **السلطان الناصر محمد بن قايتباى:** من سلاطين الجراكسة، ومدة حكمه من سنة 901-904هـ (1496-1498م).
- **القصابون:** انظر نقش رقم 10 .
- **المتسببون:** انظر نقش رقم 3.
- **الحمايات:** اسم ضريبة ربما كانت تفرض مقابل الحماية.
- **الرمايات:** اسم ضريبة ربما كانت تفرض علي المخلفات التي تتخلف من الصناعة أى التي يرمي بها.

التعليق:

يتضح من النقش أنه كان قد جدد علي القصابين والمتسببين بالقدس الشريف ضرائب من الحمايات والرمايات ألغاها السلطان الناصر محمد بن قايتباى بوصفها من المظالم، كما يتضح أيضاً أن القدس الشريف كانت من مراكز صناعة الحرير.

الخاتمة:

ورد في هذه النقوش المتضمنة لمراسيم ذات صلة بالحرير وصناعته وتجارته معلومات مختلفة عن مراكز صناعة الحرير في مصر والشام وتجارته وأصناف الحرير ومواد وأساليب وأدوات صناعته، وعن الضرائب التي كانت تفرض عليه، والجهات والمواد والأشخاص وأصحاب المهن والحرف الذين كانت تفرض عليهم هذه الضرائب، والجهات التي كانت تصدر المراسيم المتعلقة بهذه الضرائب وإلغائها: وفيما يلي قوائم بهذه المسميات:

مراكز صناعة الحرير وتجارته:

1. المراكز التي لم ترد في المصادر الأخرى:

أ. في مصر:

- فوه بالمزاحمتين (نقش رقم 4،2).
- المحلة الكبرى (نقش رقم 3).
- نطوبس (مطوبس) (نقش رقم1).

ب. في الشام:

- الخوابي (نقش رقم 8).
- العليقة (نقش رقم 8).
- قاراه (نقش رقم 6).
- القدموس (نقش رقم 7 ، 8 ، 10).
- الكهف (نقش رقم 8 ، 10).
- منوات (نقش رقم 2).

[68] Van Berchem, CIA, Syrie du Süd, I, Jerusalem "Ville". P. 374, 5, No., 107.

- المنيقة (نقش رقم 8).

2. المراكز التي ورد اسمها في المصادر الأخرى:

أ. في مصر:

- الثغر المحروس (الإسكندرية) (نقش رقم 2).

ب. في الشام:

- الشام (دمشق) (نقش رقم 2).
- حلب (نقش رقم 2).
- حماه (نقش رقم 2).
- طرابلس (نقش رقم 7 ، 10).
- القدس الشريف (نقش رقم 11).

أصناف الحرير وأساليب وأدوات صناعته:

- الأطرون (النطرون) (نقش رقم 4).
- أنوال الحياكى (نقش رقم 7).
- الثياب الخام (نقش رقم 8).
- الحرير (نقش رقم 2 ، 10).
- الحياكة (نقش رقم 7).
- الخلعة (نقش رقم 9).
- دواليب الحرير (نقش رقم 10).
- القصابة (نقش رقم 10).
- القماش (نقش رقم 6).
- قماش المصرى (نقش رقم 9).

الضرائب المفروضة علي الحرير ومتعلقاته:

- الإنفاد (نقش رقم 1).
- الحسنة (نقش رقم 3).
- الحمايات (نقش رقم 11).
- خدمة الاستادرية (نقش رقم 9).
- الخراج (نقش رقم 7).
- دورة الاستادار (نقش رقم 8).
- المايات (نقش رقم 11).
- المظلمة (نقش رقم 8).
- المظالم (نقش رقم 11).
- المظالم المحدثة (نقش رقم 1).
- معلوم كتابة السر الشريف بحلب (نقش رقم 6).
- المكس (نقش رقم 10).
- الموجب (نقش رقم 6).
- الهلالي (نقش رقم 5).

الأشخاص وأصحاب المهن والحرف ذات الصلة بالحرير:

- تجار الحرير الواردون علي فوه والمتوجهون إلي الثغر المحروس من الشاميين والحلبيين والحميين والمناوتين والأعاجم وغيرهم (نقش رقم 2).
- دلالو القماش المصرى (نقش رقم 9).
- الصباغون (نقش رقم 5).
- عوام القدموس والكهف والمنيقة والعليقة والخوابي من الأعمال الطرابلسية (نقش رقم 8).
- القزازون (نقش رقم 5).
- القصابون (نقش رقم 1 ، 4 ، 5 ، 11).
- المتسببون (نقش رقم 3 ، 11).
- نصارى مدينة قاراه (نقش رقم 6).

جهات إصدار المراسيم المتعلقة بالحرير:

- أمير استادار (نقش رقم 9).
- أمير الأمراء (نقش رقم 9).
- ديوان الجيوش المنصورة الإسلامية (نقش رقم 8).
- الشيخ (نقش رقم 4).
- السلطان (نقش رقم 1 ، 2 ، 3 ، 5 ، 10 ، 11).
- صاحب الديوان الشريف بالمملكة الحلبية المحروسة (نقش رقم 6).
- كافل المملكة الشريفة الطرابلسية (نقش رقم 7).

اختصارات المراجع العربية:

ابن إياس: محمد بن أحمد إياس الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور.

الباشا: حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف علي الآثار العربية، 1965-1966، دار النهضة العربية، القاهرة.

جمال: جمال محمود مرسي: المنسوجات الحريرية في مصر المملوكية.
رسالة الماجستير – كلية الآداب – جامعة القاهرة – 1976.

حنان: حنان قرقوتي: ملامح من صناعة النسيج عند المسلمين، الدارة – العدد الرابع – السنة الخامسة والعشرون – 145، ص129-189.

صبح: القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشا.

عزة: عزة علي عبد الحميد شحاتة: الكتابات الأثرية بعمائر محافظة كفر الشيخ من العصرين المملوكي والعثماني، رسالة ماجستير – كلية الآداب – جامعة طنطا (مصر) سنة 1996.

مرزوق : محمد عبد العزيز مرزوق :طراز الإسكندرية . كتاب مؤتمر الآثار المنعقد بدمشق سنة1948 ص 165 – 175 .

النويري : الإعلام بالإلمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الإسكندرية – مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 3942 .

Abbreviations:

CIA : Materiaux pour UN carpus inscription arabicarum , Memoires,de l institut francais d'archologie .

Sobernheim : Sobernheim , CIA, Syrie du Nord .

Wiet : Wiet ,G, Decrets Mamlouks d'Egypte.

المراجع العربية :

بن تغري بردي (أبو المحاسن يوسف) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .

حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية . القاهرة 1975 م .
: موسوعة العمارة والإسلام ، والفنون الإسلامية ، مصر وبيروت 1999 م .
حسن عبد الوهاب : طرز العمارة الإسلامية في ريف مصر – مجلة المجمع العلمي المصري- المجلد الثامن والثلاثون 1956 – 1957 .
صلاح عزام ، السيد عبد الرحيم القنائي ، شخصيات صوفية ، دار الشعب ، 1970 .
القلقشندى: ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر. القاهرة 1906.
كونل (أرنست): الفن الإسلامى – ترجمة الدكتور أحمد موسى – دار صادر – بيروت.
محمد أسعد طلس، الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب – مطبعة الشرق بدمشق – 1956.
المقريزى (تقي الدين أحمد بن علي): كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك.
كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
ابن مماتي (الأسعد أبو المكارم): قوانين الدواوين – مطبعة مصر 1943.
يحيى بن الجيعان (القاضي شرف الدين) التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مطبعة بولاق 1898.

المراجع الأوربية:

Van Bercham (Max Van), CIA, Syrie du Nord.
Hertzfeld, CIA, Syrie du Nord, Alep.

صديرى مملوكى من الحرير به أربعة زرايير

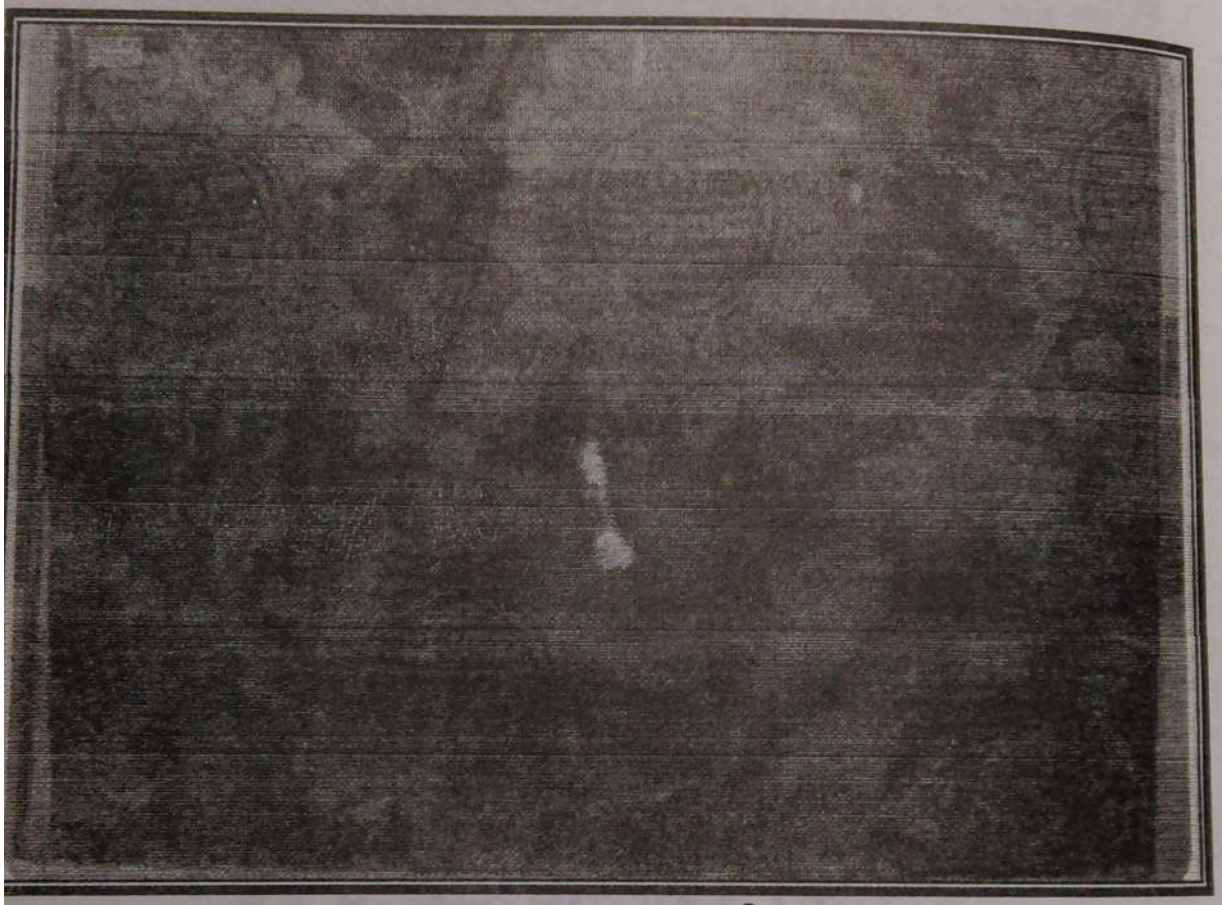

قميص من الحرير الأصفر من العصر المملوكى
- متحف الفن الإسلامى بالقاهرة سجل رقم ٤٠

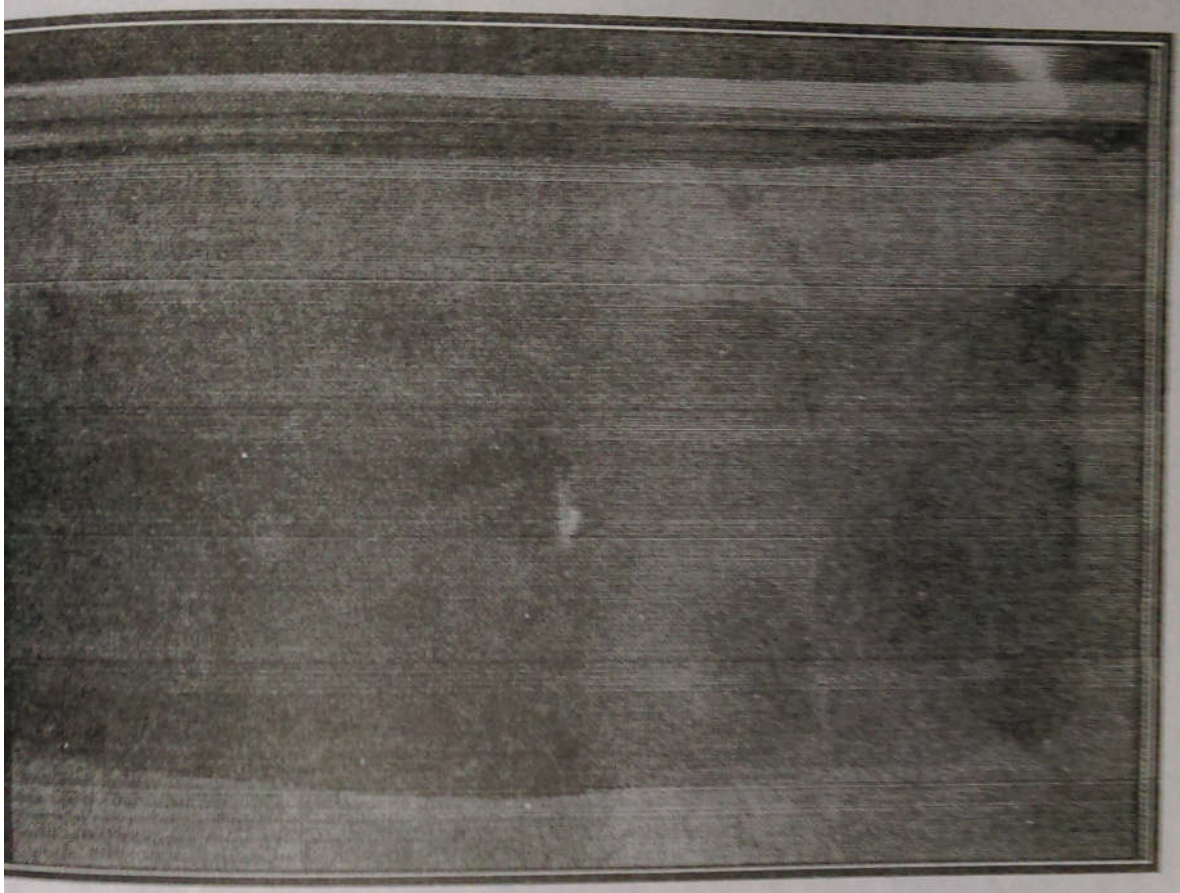

حرير من الصين بالون الأصفر والأزرق -
متحف الفن الإسلامى بالقاهرة

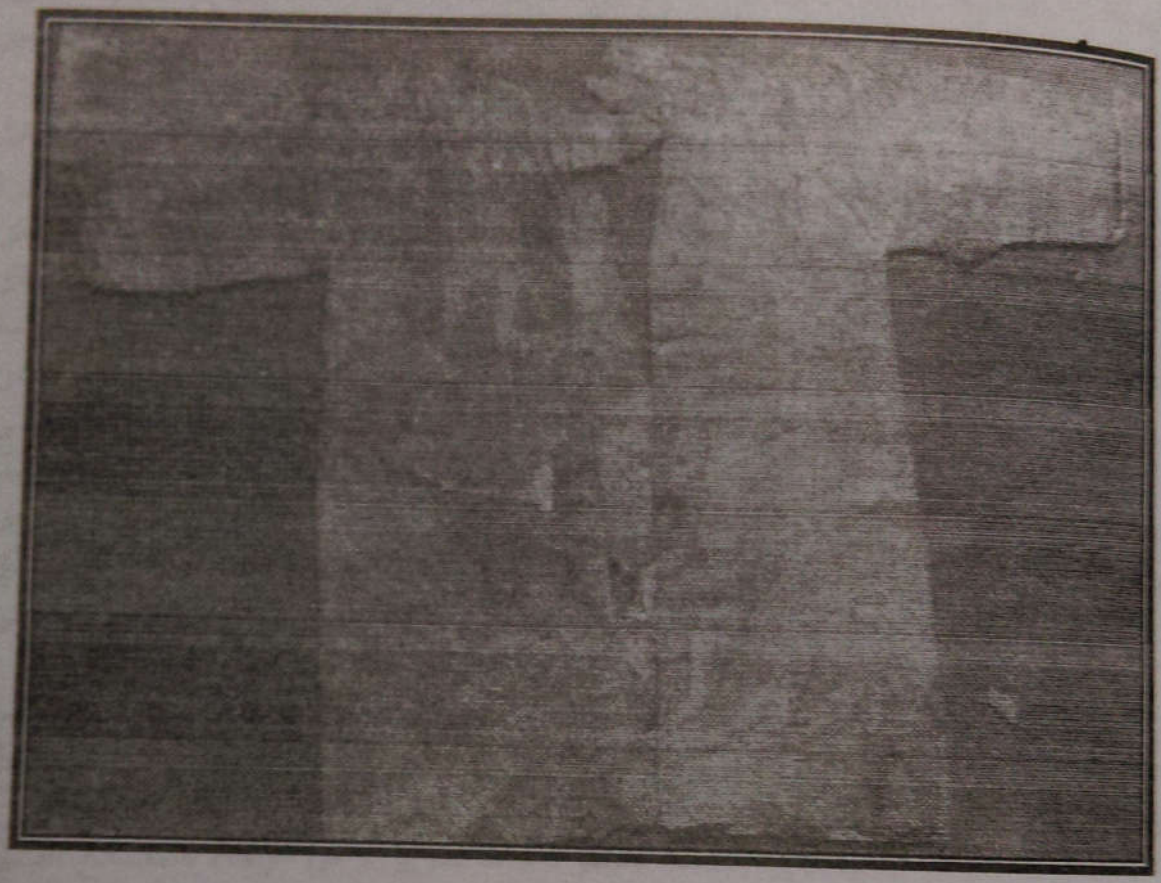

حرير مملوكى أصفر - متحف الفن الإسلامى
بالقاهرة رقم ٤٧٠١